

القيامة

فقدت إيماني وأنا في الجامعة. فقدته بسبب ضغط نفساني خفي. كان من المقبول أن يؤمن الفرد بيسوع كمعلم "صالح وحكيم", وأن يرفعه (أي يسوع) الى ذات المستوى مع محمد, الرسول الذي أسس الإسلام, ومع جواتاما بودا (Gutama Buddah) الأمير الهندي الذي أسس الديانة البوذية, ومع كنفوشس الصيني (وكان هذا الأخير

فيلسوفاً سياسياً أكثر مما كان راندا دينيا) الذي أثار بأقواله على قسم كبير من عالمه. وبإختصار, كان من المقبول أن يرفع يسوع الى ذات المستوى مع أي مؤسس لديانة رفيعة.

لقد كان بإستطاعتي أن أضع يسوع في تلك المرتبة, مساوياً لمؤسسي الديانات الأخرى, مكتفياً به "كمعلم صالح وحكيم", فيقبلني المجتمع الجامعي وأدخل معشر المفكرين. ولكن كان من المرفوض بتاتا أن أتمسك بالمعتقد أن يسوع المسيح هو ابن الله وذات طبيعة إلهية.

وعلى سبيل الملاحظة فقط, يوجد حالياً برنامج على التلفزيون مدته ساعة كاملة وهدفه بيع أشرطة تخبرك عن جذور كل الأديان. يبدأ في مصر, ولكن ذلك البرنامج لا يذكر ستمر حيث بدأت تلك الأديان التي دخلت إلى مصر ولا يذكر حتى بابل. وبالرغم من هذه الملاحظة, لا ينكر أحد تأثير مصر على العبرانيين ولا على الإغريق. سيروس جوردن (Cyrus Gordon) أنهى هذا البحث.

ولكن في هذا الإعلام يجلس شخص مهيب مع شخصية تليفزيونية, وهو أنيق المظهر وكأنه مبشر وديع ويُخبرانكم الإثنين كيف بدأت كل الأديان, ثم يلمحان تلميحا عابرا إلى 16 مخلص قد صُلبوا – ولا أساس لاقوالهم في مضمون إفتراضاتهم.

وما هذا إلا مثلا آخر على "النهج المسكوني نحو الدين" – وديانة اللا دين (حسب قول أحد أساتذتي في علم مقارنة الأديان في جامعة ستانفورد (Stanford University) ما ظهر هذا النهج إلا بسبب الإعتقاد كما يقول البعض أن كل الأديان لها ذات الجذور. واجهني ذلك الإسلوب وهو يقترح بطريقة مقنعة أنني لست بلبيب عاقل حتى أتحرر من هذا الموقف أو المعتقد "البدايي" نحو الإيمان بالمسيح وبأنه ابن الله وبأن له طبيعة إلهية, وحتى أقبل أن المسيح ماهو إلا عبارة أخرى, مؤسس آخر, في تيار التدين الشائع العام, فما يكون المسيح إلا "معلما صالحا وحكيما".

والمشكلة الوحيدة في هذه النظرية العلمانية – أي القول بأنّ المسيح ما هو إلا "معلم صالح وحكيم" وليس ذات طبيعة إلهية، المشكلة الوحيدة هي أنّه من المستحيل أن يكون أيّ منهم إلا إذا كان الإثنين معا.

لتكون صالحا عليك أن تعلم ما هي الحقيقة الصادقة. قد تكون مخبولاً أو معتوها وتؤمن بشيء خاطيء بكل صدق وإخلاص، ولكن لن تكون حكيمًا. لتكون حكيمًا عليك أن تكون على حق؛ ولتكون صالحًا عليك أن تكون صادقًا أمينًا، ومسيحهم، أي مسيح أصحاب النظرية العلمانية، قد يكون صالحًا ولكنه ليس بحكيم، أو قد يكون حكيمًا ولكن ليس بصالح، إلا الإثنين معا. وكيف يكون هذا؟

إذا قرأت أيّ مرجع تاريخي عن يسوع (المسيح) وقلت أنه صالح وحكيم يكون ذلك القول مبنياً على أقواله وأفعاله – ولا أحصر هذه المراجع بالإنجيل فقط، بالرغم من الواقع أن أغلبية الذين يعارضون عقيدة طبيعة يسوع المسيح الإلهية يستشهدون بالإنجيل وبيضة من الآيات المختارة التي توضح حياته وأعماله، فتظهر على شاشة التلفزيون باللون الأحمر للتأكيد.

يمكنك أن تذهب الى مخطوطة "كيو" (document "Q") المفترض وجودها. قال أحد آباء الكنيسة الأولين أن متى (التقيس متى) دون أقوال المسيح وهو يرافقه باللغة الأرامية وليس باللغة الإغريقية (اليونانية). ونعلم أن إنجيل متى، على الأرجح، كتب في إنطاكية باللغة الإغريقية. ويزعمون ان أقوال يسوع هذه المدونة بالأرامية هي هي مصدر مشترك للإنجيل. والذين منهم لهم القدرة على قراءة اللغة الإغريقية يلاحظون بعض التغيرات في أسلوب الكتابة في بعض أقسام الإنجيل، فيعيدون تركيبها وتشكيلها ويقترحون بعد ذلك أنه هناك مصدرا مشتركا للإنجيل الثلاثة المتشابهة أي انجيل متى ومرقس ولوقا، وبالأخص إنجيلي متى ولوقا.

إن أول إنجيل كتب، حسب تقدير العلماء، هو إنجيل مرقس، ونعلم ذلك لأننا نرى إختلاف في إساليب الكتابة فان متى ولوقا نسخا من إنجيل مرقس. إن مخطوطة "كيو" (document "Q") - المفترض وجودها - و"كيو" من كلمة ألمانية معناها "مصدر" – هي الحجّة الأكثر إقناعا لـ "مصدر مشترك" للإنجيل الثلاثة المتشابهة. وتستطيع أن تذهب إلى أقدم الأغاني وإلى أبكر الفنت المخطوطة فتجد انه حيث ما وجد يسوع في تلك المخطوطات وهو يفعل شيئا ما أو يتفوه بقول ما او يعرض صورة ذاتية عن نفسه تجد ما يدعه من المستحيل أن ندعو المسيح "صالحا وحكيما" وذلك لأننا نجد واحدة أو أكثر من الأسباب التالية في كل من تلك المصادر:

1- إختال نفسه كاملا

في هذا الصدد ليس من المهم إن كان حقًا كاملا ام لا، بل المهم أنه إختال نفسه كاملا. قال الفيلسوف كارليل (Carlyle) أن أعظم الذنوب هي عدم الإدراك بالذنب. لا أحقر من الإنسان الذي يختال نفسه كاملا. إننا لا نتجاوب أبدا مع صورة الكمال الذاتي لأننا نعلم أنه ليس هناك أي إنسان كامل.

ليست القضية إن كان المسيح كاملا أم لا لأننا لا ولن نقّس من يختال نفسه كاملا. نجد في العهد القديم من الكتاب المقدس سجل الأفراد اللذين إستخدمهم الله بالرغم من أنهم رأوا عيوبًا بارزة في نفوسهم - "أنا دون أن أستحقّ كلّ ما أظهرته لي أنا عبدك، من رحمة ووفاء،" - "من أنا حتى أخرج بني إسرائيل؟" - "ما أنا إلا فتى صغير لا أعلم الخروج والدخول."

إنّ المقياس ليقبلنا الله او الإنسان هو إدراكنا بنقصنا وبأننا لسنا كاملين. إنّ الأتقياء يعلمون قدر بعدهم من الله. وفي كلّ المملكة (اي مملكة بني إسرائيل) وُجد رجل واحد فقط قد رأى الله. وفي سنة وفاة الملك عزّياً (عزّزياً) ملك يهوذا، كان النبي أشعيا هو الرجل الوحيد الذي رأى الله جالسا مرتفع وسامٍ - وهذا يعني أنّه كان مرتفعا فوق الكل - فصرخ قائلا: "وَيْلٌ لِي لِأَنِّي هَلَكْتُ."

إننا لا نرفع الى مرتبة القداسة أي شخص يختال نفسه كاملا - ولكن يسوع إختال نفسه كاملا. أينما نصادفه نرى ذلك. إنه يدين الناس فيدعوهم "قבורا مبيضة مطلية بالكلس." يقول لهم " ... تُصَفُّونَ الْمَاءَ مِنَ الْبُحُوضَةِ، وَلَكِنَّكُمْ تَبْلُغُونَ الْجَمَلَ." فكان المسيح يذلّ للذين كانوا يدعون انهم اتقياء. وعلى الإنسان أن لا يدين الآخرين لأننا نعمم في باطننا في عمق أحشائنا، أننا نحن تحت ذات الدينونة.

أما يسوع فلم يشعر بأي نقصان. إنه غير شريعة موسى قائلا: "سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلأَقْدَمِينَ ... أما أنا فأقول لكم ... وبعد ذلك يقول، وهو مدرك كماله الخلقى كلّ الإدراك، يقول: "لَا تَطُتُّوا أُنِّي جِئْتُ لِأَلْغِي الشَّرِيعَةَ أَوْ الْأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لِأَلْغِي، بَلْ لِأَكْمَلَ."

هناك إستثناء واحد فقط لما سبق عندما أتاه أحد الرُوساء و قال له: "أَيُّهَا الْمُعَلِّمُ الصَّالِحُ ... أوقفه يسوع قائلا: "لِمَاذَا تَدْعُونِي الصَّالِحَ؟" هناك من يستشهد بهذه الآية ليقول أن يسوع ما كان ينظر الى نفسه بأنه صالحا. هم على خطأ لأن يسوع يتابع بقوله "تمهل قليلا. لا تدعوني معلما صالحا إلا إن كنت تدرك أنني أنا هو الله لأن ليس أحد صالحا إلا واحد، وهو الله."

نعم، كان يسوع يشعر بالكمال الأخلاقي والروحي، وتصرفاته لم تبرز أي نقص أبدا.

2- وضع كل سلطان في ذاته

قال يسوع أن لديه كل سلطان. قال: "أَيُّ مَنْ يَسْمَعُ أَقْوَالِي هَذِهِ وَيَعْمَلُ بِهَا، أَشَبَّهُهُ بِرَجُلٍ حَكِيمٍ بَنَى بَيْتَهُ عَلَى الصَّخْرِ ... وَأَيُّ مَنْ يَسْمَعُ أَقْوَالِي هَذِهِ وَلَا يَعْمَلُ بِهَا، يُشَبَّهُهُ بِرَجُلٍ عَبِيٍّ بَنَى بَيْتَهُ عَلَى الرَّمْلِ." ثم تابع بقوله، "دَفَعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الْأَرْضِ."

أيضا وأشير هنا الى التوضيح الذي سبق ذكره بالنسبة لشريعة موسى (الشريعة التي إعتمدت عليها أجيال عديدة سابقة)، قال: "سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلأَقْدَمِينَ ... أما أنا فأقول لكم ... " وهنا يصدر الحكم دون أي تردد أو إرتداد. ولكن نحن لا نجعل من الأناس الذين يتفوّهون بهذه الأقوال، لا نجعل منهم قديسينا، بل نسالهم "على ماذا تستندون؟" أما يسوع إستند على نفسه، فقال: "أما أنا أقول لكم ..."

3- وضع نفسه في محور كون العبادة والتدين

أما يسوع فوضع نفسه في محور كون العبادة والتدين. لم يبشر يسوع بعقيدة ولا بحقيقة منفصلة من ذاته. قال: "أنا هو الطريق. أنا هو الحق. أنا هو الحياة. من دخل بي ... أنا هو باب الحظيرة من لا يُبْغِضُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَزَوْجَتَهُ وَأَوْلَادَهُ وَإِخْوَتَهُ وَأَخْوَاتِهِ، بَلْ نَفْسَهُ أَيْضاً، وَيَحْمِلُ صَلِيبَهُ وَيَتَّبِعُنِي، لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ لِي تَلْمِيزاً." لقد جعل من علاقتك معه العامل الأوحد الذي يحدّد كل منافع العبادة، واضعا نفسه في محور كون العبادة والتدين.

4- تكلم عن الأبدية من داخلها

عندما أتكلّم عن منزلي، أتكلّم عن معرفة وإمام. عندما أقول أنّ المقعد الذي في منزلي أسمر اللون، لا تسألني "كيف تعلم ذلك؟" وذلك لأنني عندما نتكلّم عن منزلنا نتكلّم عن ثقة وتبرز هذه الثقة في الطريقة التي نتكلّم بها. لا نجادل في هذه الأمور. إننا نتوقع من المستمع أن يصدّقنا. هذا هو الإطار الذي يبرزه يسوع عندما يتكلّم عن الأبدية، وهو يتكلّم ضمن إطار الواقع. بإسلوب واقعي يقول: "سأرجع. إني ذاهب لأعدّ مكانا لكم. بعد قليل أعود اليكم وأخذكم إليّ."

أيضا وبإسلوب واقعي يقول: "أنني كائن من قبل أن يكون إبراهيم." ومرة أخرى يقول: "أنا رأيت الشيطان مطروحا إلى الأرض." أيضا يقول: "تفرح الملائكة في السماء عندما يتوب الخاطيء." وبهذه الأقوال وبالأسلوب الذي تكلم به يريدنا يسوع أن نؤمن بأنه يعرف الأبدية معرفة حميمة وأن نؤمن بوجوده منذ الأبد، قبل أن تجسّد، وإلى الأزل بعد أن تجسّد، وهو كائن مع الله.

5- يموت فدية

قال يسوع أن هناك خطأ في العالم بأجمعه ولا يُصلح هذا الخطأ إلا بموته "فدية." وعلم السامعون لكلماته قصده بقوله "فدية." كانت تدفع الفدية لإسترجاع ميراث مفقود ولإنقاذ من حُكم عليه بالموت بسبب خطاءه. الفدية هي الثمن المدفوع للإنقاذ من عواقب الخطية، للإنقاذ من عواقب الأخطاء، لإسترجاع ميراث مفقود – الفدية هي التي تعيدك إلى ما فقدته. قال يسوع أنّ العالم بأجمعه قد فُقد، وأنه أتى ليموت ليدفع ثمن الفداء حتى يفنديهم، أي العالم بأسره.

6- سيقوم من الموت

قال يسوع أنّه سيقوم أيضا (هناك أكثر مما سأذكر، ولكنني اخترت البعض منها)، أي عندما يموت سيقوم من بين الأموات.

الآن لو حدث أنني، أنا راعي الكنيسة، خاطبت الجموع قائلا: "دفع إليّ كلّ سلطان في السماء وعلى الأرض"، ربما فُكرتم بان الراعي سيستشهد بقول يسوع وأنه ذكر كلمة الله هذه ليعظ الناس بقوة وسلطان. فتقول لنفسك أن الراعي أنما يتكلم عن قوّة وسلطان كلمة الله التي يقرأها على السامعون.

ولكن إن تابعت في الكلام وكأنتي أخاطب الله وقلت: "ها أنا يا أبتي. لقد فعلت كل ما أرسلتني لأفعله. لا عيوب ولا نقصان فيّ. لأرتاب من الشريعة لأنتي أكملتها"، وتابعت في الكلام وادّعت أنني انا كامل مثلما ادّعى يسوع أنّه كامل فسترتدّ وتشفق على السيّد سكوت (Mr. Scott). وإن تابعت في الكلام قائلا: "مصيركم الأبدي يعتمد على كوني محور حياتكم وسيّدكم"، لأعرض الكثيرون ناظرين إليّ كمن فقد عقله أو كان مخبولا. وكل ذلك قبل حتى أن أخبركم أنني من مواطنين الأبدية.

وماذا سيحدث إن وقفت هنا وقلت بجديّة، "قبل أن يكون إبراهيم أنا كنت. نعم، إبراهيم، ذاك الرجل الذي خرج من أور الكلدانيين؛ أنا كنت هناك. أنا رأيت الشيطان مطروحا إلى الأرض قبل أن يولد آدم."

ليس هذا فقط بل تابعت أتكلمُ عن الجنة بذات الإمام الذي نتكلم فيه نحن عن منازلنا. إن قلت لك أن المقعد الذي في بيتي بُنيّ فاتح اللون، وتسالني: "كيف تعلم هذا؟" يكون جوابي لك "أعرف هذا لأنني أسكن هناك." ولكن إن إُدعيت أنني عارف الجنة كما أعرف بيتي الذي أسكن فيه، إن تكلمت هكذا سوف ابعث الى مأوى للمجانين. وبعد ذلك إن تابعت بالقول أنني أنا فدية عن العالم أجمع أكون عرضة للرجم.

توقّف عند هذه الأفكار وأعلم ان هذا الشخص الذي يدّعي كل هذه الإدعاءات المستحيلة عن نفسه هو المسيح الوحيد الذي جال على مسرح التاريخ. المسيح الوحيد الذي تجده في كافة المراجع الموجودة لدينا. لن تجد أي من مؤسسي الديانات الأخرى يتفوّه بهذه الكلمات التي تفوّه بها المسيح. ولا يفعل ذات الأفعال التي فعلها يسوع. بوذا لم يدّعي الكمال؛ بل كان يتصارع مع جوهر الـ "تانيا"، أي مع الشهوات الفاسدة التي تفقد النفس للخطيئة. بحث بوذا عن طريق التحرّر من الشهوات الجسدية؛ بحث عن طريق اليوغاني (yogi) الجميل؛ وفي كلا الحالتين لم يلقى النجاح. وتابع حتى وصل الى الطريق الثماني حيث أصبح وكأته في غشية فقد فيها إدراكه لهذه الحياة، وفقدان هذا الإدراك هو الـ "نيرفانا" (nirvana). وعندما خرج من غشيته هذه قدّم لأتباعه الطريق الثماني قائلًا: "نجحت أنا في هذه الطريق. جرّبوها أنتم علّمكم تنجحون."

لم يفكر بوذا أبدا أنه دُفع اليه كل سلطان بل قال لأتباعه و تلاميذه (وهذا القول هو جزء من كتابهم المقدّس الثلاثي الأجزاء)، قال لهم أنه ليس جديرا ليكون قائدا لهم. كلّ ما ترك لهم هو الطريق الذي نجح هو به. لم يفترض ان أي سلطان دُفع اليه. لم يختال له أبدا أنه هو محور كون العبادة. "الطريق" ما كانت إلا الطريق الثماني الذي نجح هو به. وهذا ينطبق على كلّ الآخرين.

أيضا النبي محمد، لم يختال أبدا نفسه كاملا. كان رسولا لله. رأى رؤيات عن الأبدية طُبعت في افكار رجل الصحراء ولكنه لم يدّعي أبدا أنه سكن الأبدية. لم يمته فدية عن أيّ كان. استمدّ سلطانه بزعمه أنّ الله أعطاه هذا السلطان بروية. أمّ يسوع فلم يستشهد بروية مثلما شهد النبي محمد قائلًا: "قال الله ...". بل كان يسوع دوما يقول: "أما أنا فأقول ...". أما كونفوشيوس (Confucius) فحلّل المجتمع تحليلا منطقيًا وأشار الى ذلك التحليل الخارجي كمصدر لسلطانه.

ولا واحدا من كل مؤسسي الأديان الأخرى جعل نفسه محور كون العبادة، أو ادعى أن كلّ سلطان دُفع اليه، أو إختال نفسه كاملا، أو ادعى أنه من سكان الأبدية لا قبل ولا بعد سكنه الموقّت على الأرض. ولا صفة من كل هذه الصفات تُسببة إلى أي من مؤسسي الأديان الأخرى الموقّرة. لذلك علينا أن نحترمهم ونقدّرهم كمؤسّسين لتلك الديانات.

أمّ في يسوع نجد ما سمّاه سي. أس. لويس (C. S. Lewis) "البديل المذهل" وهو أنّه إمّا أن إختال يسوع أن كلّ ما قاله عن نفسه هو حق، وكان غيبًا فلم يعلم أنه يستحيل على الإنسان أن يدّعي هذه الإدعاءات ويكون على حق، إذا لم يكون حكيما، أو كان يسوع حكيما يعلم أن هذه الإدعاءات ليست صحيحة، فخدع أتباعه ليحقق أهدافه الأنانية ليؤمنون به، وهذا الفعل يجعله غير صالحا. ونستنتج من هذه الملاحظات أنّ اللذين يدّعون أن يسوع كان "معلما صالحا و حكيما" لم يصرفوا اي وقت مع المسيح الوحيد الذي جال على مسرح التاريخ ولا يعرفونه.

وأنت، إمّا أن تنتظر للمسيح كإنسان غيبٍ أو إنسان خداع، أو تقبل ما قاله عن نفسه وإنه هو الله، إذ هو كامل، وفيه كل سلطان، وهو محور كون العبادة، وإنه إرتسمت فيه كل المزايا التي تُخوّله أن يموت فدية عن العالم كلّ. كان ملّمًا بالأبدية، وسوف يقوم وقد قام من بين الأموات.

لا تستطيع أن تجمل يسوع مع المعلمين "الصالحين والحكماء". فإما أن يكون هو أحق دجال زائف أوهو تمام ما قاله عن نفسه وإدعاه.

عندما وصلت الى هذا التقاطع صمّمت أن أحل هذه المعضلة بنفسي. إنّ هذه القضية تحور حول حقيقة تاريخية، ألا وهي قوله للذين طلبوا آية منه. قال يسوع، "سأعطيكم آية." هنالك آية واحدة يقينة يمكننا بناء إيماننا عليها. نعم هناك آيات أخرى، ولكن هناك آية واحدة يقينة تبرّر حق الله، ألا وهي آية يونان النبي كما فسرها يسوع، أي آية موته وقيامته من بين الأموات.

هناك حقيقة واحدة واضحة تظهر عبر التاريخ، ألا وهي أن الله تعالى تلطف وتجسّد وتنازل ليسكن بيننا، وأكمل الشريعة في جسده، ثم إختار أن يموت عنا فدية مكملا لمتطلبات شريعة الله ثمّ قام من الموت فاعلن بنوّتنا داخل حياته الجديدة، حياة خالية من عبء الشريعة، وما الشريعة إلا مدرّسا يعلمنا عن حاجتنا لقوة الله المخلّصة.

أن يسوع المسيح سار على مسرح التاريخ وهذا إدعاء من إدعاءات المسيحية وانه صان نفسه وبرّر موقفه بحقيقة واقعية يمكننا أن نحللها.

إنها لحقيقة واقعية ثابتة أنّه لا "حقيقة تاريخية يقينية". تعلّمت ذلك وأنا أتخصّص بالعلوم التاريخية في الجامعة. الـ "حقيقة تاريخية يقينية" تعني أنه وجد فيها كل الأدلة المثبتة لها والتي يمكن أن يتصورها الإنسان. علينا أن نجد كل الأدلة الممكن أن نتصورها ليكون عندنا "حقيقة تاريخية يقينية" لأنه في اللحظة التي يتم الحدث فيها نخسر قدرتنا على مراقبة ذلك الحدث. إن الآت التصوير تساعدنا على تدوين الحدث، ولكن هناك عوامل قد تفقد. إذا كل "حقيقة تاريخية يقينية" هي "حقيقة نسبية" لا "حقيقة مطلقة". كل ما نستطيع أن نتمناه هو أن نحصل على حقيقة "نفسية" ناتجة من تعرّضنا للأدلة التي يمكن الحصول عليها، وهذا ارتكاس طبيعي.

أي محام قدير يعلم أنه، وهو في المحكمة، عندما يقول المحامي الآخر شيئا ويوبخه القاضي على ما قاله، يعلم أن المحامي الآخر كان يعلم يقين العلم أن ما قاله ما كان يجوز قوله، ولكن الهدف من قوله ذلك هو أن يسمع قوله المحلفون. يوبخه القاضي. ويتظاهر المحامي بالندم. ولكنه كان يعرف تماما المعرفة ما يفعله. ثم ينظر القاضي إلى المحلفين ويأمرهم بأن ينسوا ما قاله المحامي. إذا لنعدم المحلفين لأنها هذه هي الطريقة الوحيدة التي ينسون بها ما قاله المحامي. أما أنت فترى وتسمع وتشعر ومهما كانت الأدلة سيكون عندك ردة فعل.

الله برّر وسان ابنه بواقع القيامة

أتى بولس الرسل الأريوباغوس (Mars Hill) حيث كان الفلاسفة والمفكرون يجتمعون ويناقدون بعضهم البعض علما نسوا إلهها من الألهة، فنصبوا تمثالا إلى الإله المجهول. لاحظ ذلك الرسول بولس فكلمهم قائلا: "أنا أبشركم بهذا الإله"، وبشّرهم بالمسيح، إنّ الله إختاره وبرهن ذلك عندما أقامه من بين الأموات. قال الرسول بولس أنه إن لم يكن المسيح قد قام، لكان إيمانه عبثا وشهادته أنّ الله أقام المسيح من بين الأموات شهادة زور.

أن أول رسالة قُدمت هي الرسالة التي بشّر بها الرسول بطرس يوم الخمسين قائلا "إنّ يسوع هذا الذي تعرفونه أنتم... " وأوضح لهم أنّهم عرفوا المسيح مصلوبا. أم السامعون فكانوا يعرفون ذلك. ثم شهد لهم بما لا يعرفونه قائلا "هذا هو يسوع الذي أقامه الله من بين الأموات، ونحن جميعا شهدنا و نشهد لذلك الحدث."

أما الرسول بولس يقول في أحد خطباته "شاهدوه... وشاهدوه", ثم بين كل من شاهد يسوع بعد قيامته "لأكثر من خمس مئة أخ معاً مازال مُعظّمهم حيّاً."

كان هناك شهود عيان في تلك الأيام. أما اليوم فلا. ولكن كما مع أي حقيقة تاريخية، من من كتب روايات شيكسبير (Shakespeare) إلى وجود يوليوس القيصر (Julius Caesar)، ننظر إلى الحقائق التاريخية التي أسست عليها المسيحية، وهي:

الله برّر ابنه بالقيامة

دعوني أقول هنا أنّه إن أتاني أي شخص يدّعي لنفسه ما إدعاه يسوع، سأقترح عليه أن يستشير طبيباً نفسانياً، أو أن يدخل مستشفى للمجانين، إلا إذا كان غير جدياً في إدعاءاته لأنه من الواضح أنّه لا يستطيع أي إنسان بشري أن يدعي تلك الإدعاءات. ولكن إن قال لي مع تلك الإدعاءات "أقتلني وبعد ثلاثة أيام سأخرج من القبر وأرتفع إلى السماء" وبعد ثلاثة أيام بالحق خرج من القبر وارتفع إلى السماء، لن أستخف بإدعاءاته. لأحتاج المزيد للإيمان؛ لأحتاج لأيّ من التعاليم العقائدية، ولا التعليم عن عقيدة الثالوث الأقدس لأنّ ذلك الشخص الذي قام من بين الأموات وخرج من القبر، إن صحّ الخبر، هو يكون لي نقطة الشروع نحو إله فردي خاص وحقيقي.

وإن كنت أستطيع أن أجد على مسرح التاريخ ذلك الشخص الذي أقدر أن أصرف كل حياتي في البحث في أقواله، ذلك الإنسان الكامل الذي هو محور كون العبادة؛ تلك الذات التي إفتدنتني، ذلك الفرد الذي قام من بين الأموات و أعدّ لي مكان في الأبدية، أن كنت أستطيع أن أجده فهذا هو الإله الذي حاجتي إليه، والذي يكون هو النقطة التي أنطلق منها.

القضية هي: هل حقا خرج من القبر؟

لن تحلّ هذه القضية بمجرد التحليل الفكري، عليك أن تبحث فيها بحثاً علمياً، ولتنجح بذلك عليك أن تبني البحث على الوقائع الثابتة لدينا. ولكن غالب الناس لا يفكرون بوضوح فيقولون من دون البحث: "لم تكن هناك أي قيامة لأنه يستحيل على الإنسان أن يقوم من الموت، وأيّ يقول أنّ القيامة واقع فهو كاذب." ولكنهم يدرسون و يبحثون في أي قضية أخرى.

على سبيل المثال، إن تساءلت "هل وعظ سكوت (Scott) هذه الرسالة يوم الأحد الماضي خلال ساعة معيّنة من الوقت؟" تفترض أولاً أنني كنت أنا هنا و أنني أنا هو الذي قدّم العظة. عليك أن تفترض أن الكندرائية موجودة، و عليك أن تفترض أن يوم الأحد جاء وذهب. فما علينا أن نبحث في هذه الافتراضات التي نقبلها دون جدل ونحن نقرّر إذ دامت العظة ساعة أو أقل أو أكثر. ولكن قبل أن نناقش إن دامت العظة لمدة ساعة أو أكثر، علينا على الأقل أن نتفق على أنني أنا هو الذي وعظ. ليس من المهم إن كانت الوعظة جيّدة أم سيّئة، ولكن من المهم أن نتفق أنني كنت هنا، أي في الكندرائية، وأن فمي تحرّك وتفوه بكلمات ما. وهذا هو إطار البحث المقبول أي الخلفية التي نقبلها من دون بحث.

و إن قال شخص ما "أنا لا أصدّق أنك كنت هناك" فلا فائدة من البحث في مدّة العظة لأنه من الأسهل أن أبرهن أنني كنت هنا، أي في الكندرائية، من أن أبرهن مدة العظة، وذلك لأننا نهمل الساعة التي بدأ الوعظ فيها هل هي الساعة التي قدمت فيها الموضوع؟ أم هي الساعة التي كتبت فيها أوّل ملاحظة على اللوح الأسود؟ أي متى بدأت بالوعظ؟ لذلك يصعب إثبات مدّة العظة أكثر مما يصعب إثبات وجودي هنا.

عليك أن تواجه قضية القيامة بذات النهج. هناك بعض الحقائق التي عليك أن تفترضها قبل أن تبحث بقضية القيامة. أحدها: هل حقا عاش يسوع؟ لما نبحث في قيامته إن كنا لا نؤمن أولا أنه عاش؟ كان هناك زمن تجادل البعض فيه فيما إذا حقا عاش يسوع أم لا، لا اليوم لا احد ينكر أنه عاش. أما لبحثنا اليوم في موضوع قيامته من بين الأموات عليك في الأقل أن تفترض التالي:

الحقيقة الأولى. يسوع عاش على الأرض

أن كنت لاتؤمن بأنه عاش على الأرض، ألا توافق معي أنه أسهل أن نبرهن أنه عاش على الأرض في مكان ما وفي زمن ما من أن نبرهن أنه مات ثم قام من الموت؟ اتوافق على هذا؟ إذا اعطني الأسهل. "أنا غير مقتنع أنه عاش على الأرض، فلا تكلمني عن القيامة. ليس عندي الوقت الكافي لهذا الجدل." لا تدخل في أي جدال مع أي شخص لا يعترف (يومن) بأن يسوع عاش على الأرض. من الأسهل أن نبرهن أنه عاش على الأرض. إذا علينا ان نقنع بأنه عاش على الأرض قبل ان نبحث في الموضوع التالي:

الحقيقة الثانية. صُلب على أثر تحريض بعض رؤساء الدين اليهود في مدينة القدس. السلطات الرومانية نفذت الإعدام.

على أثر تحريض بضعة من رؤساء اليهود (لا يلام كل اليهود على ذلك. تلاميذه كانوا يهودا، لذلك أقول بضعة من رؤساء اليهود) نفذ الرومان حكم الإعدام في يسوع. إن كنت لا تصدق هذه الحقيقة فلا مغزى في أن نبحث في موضوع القيامة. إنه من الأسهل بكثير أن نبرهن واقع الصلب من أن نبرهن واقع القيامة.

الحقيقة الثالثة. إعتبر ميتا

أقول "إعتبر" ميتا لأن هناك بعض من الناس الذين يؤمنون بأنه إستعاد العافية وهو في القبر – أي أنعشوه. إعتبر ميتا: طعنوه في جنبه؛ أنزلوه من عن الصليب؛ ثم أخذوه للقبر. أم احد الناقدين إخترع النظرية القائلة بأن يسوع تدرّب على ذلك، وسمح للبعض بأن يأخذوه للقبر وهو عارف أنه سيخرج منه. تمرّن باليعازر أولا (حسب هذه النظرية المخترعة) و لكن نعلم انّ أليعازر كان قد أنتن قبل أن يبداء يسوع أن يتمرن به. بعض النظريات السائدة تتحدّى التفكير المنطقي أكثر من الإيمان بواقع القيامة. وعلى الأقل إعتبروه ميتا. إن كنت لا تصدق هذه الحقيقة فبحث القيامة الآن يكون مبكرا وقبل أوانه.

الحقيقة الرابعة. دفن يسوع في قبر معروف سهل الوصول اليه

إن الشعب في ذلك العصر، وخاصة رؤساء اليهود والرومانيين اللذين شاركوا في تنفيذ عملية الصلب، كانوا يعرفون مكان القبر وكان من السهل عليهم الوصول اليه. أما انت فما كان بالإمكان عليك أن تدخله بسبب الحجر الكبير أمام باب القبر وبسبب الحراس اللذين كانوا يحرسونه، ولكن مكان القبر كان معروفا من الجميع وكان من السهل الوصول اليه.

الحقيقة الخامسة. بُشّر بقيامته

وانا لا أقول هنا أن يسوع قام من الموت، بل أنّ بُشّر بأنه قام من الموت وُبشّر بأن القبر كان فارغا، وُبشّر بأن يسوع صعد إلى السماء. من الجدير أن نتذكّر أن البشارة بكاملها ضمّت القبر الفارغ وقيامه يسوع من بين الأموات وصعوده الى السماء. بُشّر بهذه الإدعاءات الثلاثة.

اما الآن إن كنت لاتؤمن بأنه بُشّر بهذه الإدعاءات الثلاثة فانا أبشّر بها اليوم، ولكن الواقع هو أنه بُشّر بها حالا بعد القيامة و في ذات المدينة التي صلبوه فيها. إن كنت لا تصدق أنه بُشّر بهذه الإدعاءات الثلاثة، إنه من الأسهل أن نبرهن ذلك من أن نبرهن واقع القيامة.

الحقيقة السادسة. إن رؤساء اليهود الذين حرّضوا على صلبه كانوا مهتمين بدحض القيامة أكثر منّا في يومنا الحاضر.

إنه من البديهي ان إهتمام رؤساء اليهود اللذين حرّضوا على صلب يسوع بدحض القيامة كانوا أكثر إهتماما من أي شخص في عصرنا الحاضر. اي على بعد حوالي 2000 سنة من حادث الصلب، وهذا الشخص يعالج القيامة من ناحية فكرية مختلطة بالشكوك، وذلك لأن شهرة وسُمة ودخل وحياة رؤساء اليهود كانت مهددة وذلك لأنهم هم اللذين حرّضوا على صلبه وإتهموه بإقامة مملكة، كما وأتهموه بالتجذيف. وإن صحّ أنه قام من الموت فسيخسرون مناصبهم و موارد رزقهم. إذاً لهو من البديهي أنه كان عندهم دوافع قويّة لدحض نظرية القيامة فهاجموها بقوة تفوق بكثير القوة التي تدفع غالب الناس في أحد الفصح وهو أحد القيامة.

الحقيقة السابعة. إضطهدوا تلاميذ المسيح لأنهم بشرّوا بقيامته من بين الأموات. إضطهدوا تلاميذ المسيح إضطهادا رهيبا بسبب تبشيرهم بقيامة يسوع من بين الأموات. أولا إضطهدهم رؤساء اليهود، ثم إتهموهم بالكذب، ثم إتهموهم بأنهم سرقوا جسد يسوع وأخفوه. إن كتاب "أعمال الرسل" بكامله يتحدّث عن الإضطهاد الذي عاناه الرسل بسبب تبشيرهم بقيامة المسيح من الموت.

وبعد مضيّ قرون من الزمن أصبح المسيحيون عامة عرضة للإضطهاد داخل الإمبراطورية الرومانية وأصبحوا بمثابة أكباش المحرقة و عُوقبوا لأسباب أخرى. ولكن كل المصادر تتفق على أن الإضطهادات الأولى كانت قد توقّفت في الحال لو توقّف أتباع المسيح عن التبشير بقيامته وصعوده الى السماء. لهذا اضطهدوا، لأن شهرة رؤساء اليهود كانت مهددة. أما الآن ناتي للحقيقة الثامنة.

الحقيقة الثامنة. كان القبر فارغا

وهنا يقول لنا التفكير المنطقي أنه إذا كان رؤساء اليهود الذين حرّضوا على الصلب (الحقيقة الثانية)؛ والذين كان لهم إهتمام كبير لأن دخلهم كان مهددا (الحقيقة السادسة)؛ وإن يسوع دفن في قبر معروف سهل الوصول اليه (الحقيقة الرابعة)؛ لذهب الرؤساء فورا الى القبر وكشفوا الجثة. إذاً لهو من البديهي أن القبر كان بالحقيقة فارغا.

وأصبح القبر بلا أهمية لأنه كان فارغا. مضت قرون من الزمن وضاع القبر لأنه كان فارغا لا جسدا في باطنه. ولكن عندما بدأ عصر الإهتمام بالأثار المقدّسة ينمو بدأت الناس بالإهتمام بقبره - ذات القبر الذي كان منسيا ومهمولا لأنه كان فارغا - وبدأت بالبحث عنه.

وما زال العالم الكنسي يتشاجر اليوم على مكان القبر الكلاسيكي عند الكنائس الأولية، والقبر المعروف بقبر جوردون (Gordon's tomb) لدى الكنائس البروستانتية والذي يعرفون عنه بالمكان المجاور لموقف حافلات النقل دون منحدر الصخرة المعروفة بـ "الجلجثة" والتي فوقها مقبرة عربية. نتج هذا الصراع بسبب فقدان القبر وذلك لأن القبر كان وما زال فارغ لا أحد فيه.

من الأسهل أن نثبت هذه الحقائق من أن نثبت واقع القيامة. ولكن إن لم نقبل هذه الحقائق فسيستحيل علينا أن نعالج كافة النظريات حول واقع القيامة. مثلاً خلال القرون الماضية كان التبشير فعّالا حتى ظهرت نظريات عديدة تحاول تفسير القيامة. وأعالج هذا الموضوع في عيد القيامة (عيد الفصح) لأظهر للمستمعين أنه من الممكن معالجة هذا الموضوع معالجة علمية.

لن نقدر أن تجبر أي شخص على الإيمان، ولكن إن تعرّض الإنسان للأدلة والبراهين سيُنْتِج ذلك ردّ فعل نفسياني. أن المشكلة التي أواجهها مع الذين لا يؤمنون بالقيامة والذين يَحْيون حياتهم دون أيّ إنتباه للقيامة هي أنه بإستطاعتي أن أسألهم 15 سوالا وأجد أنهم لم ينظروا الى الأدلة والبراهين لمدة 15 ساعة أبدا.

إن كانت القيامة حقيقة فهي بلا شك محور الكون. إن كانت القيامة حقيقة فهي الحقيقة التي يركز التاريخ عليها. لا أحد إلا أغبي الأغباء لا يصرف 30 ساعة على الأقل من حياته في دراسة القيامة. زد على ذلك أنه هناك عدد من المثقفين والأذكاء الذين إقتنعوا بعد نظرهم للأدلة والبراهين. هذا هو الدافع الذي يدفعني لأعالج موضوع القيامة. وبسبب الطبيعة المخلصة الصادقة الصرفة لبشارة تلاميذ المسيح قدم الكثيرون من الناس جميع أنواع النظريات المختلفة لتفسير إيمان تلاميذه، ولكن كل هذه التفسيرات تبطل عندما ننظر للحقائق الثمانية السابقة.

النظرية الأولى. تلاميذ المسيح هم الذين سرقوا جسد يسوع.
النظرية الثانية. رؤساء اليهود هم الذين سرقوا جسد يسوع.
النظرية الثالثة. قادة الرومانيين هو الذين سرقوا جسد يسوع.
النظرية الرابعة. النساء ذهبن الى قبر مغلوط.

ذهبن الى قبر مغلوط لأنه كما تعلم كان هناك ظلام فثهن عن الطريق. ذهبن الى قبر آخر وأمن أنه قام، فخرجن من البستان صارخين "ذهبن ولم نجد". لقد ذهبن الى قبر آخر، ذهبن الى قبر فارغ ينتظر من يملئه.

النظرية الخامسة. كلها هذيان وهلوسة.
كلها أحلام اليقظة المفقمة. كانوا مخلصين صادقين في إيمانهم؛ ولكنهم آمنوا أنه قام بسبب هذيانهم وهلوستهم.

النظرية السادسة. نظرية الإنعاش.
صُلب واعتبر ميتاً، ثم دفنوه في قبر معروف، ولكن الحقيقة هي أنه لم يكن ميتاً، وفي برودة القبر إنتعش فخرج من القبر والأكفان تشد يديه ورجليه والمنديل يلف رأسه، ومن حسن الحظ كان الحراس نياماً، فدحرج الحجر هو بنفسه وخرج يسوع مربطاً وله شكل شخص غريب المنظر، مخيف.

النظرية السابعة. كذب تلاميذه.
لقد تلاميذه هذه القصة – أي واقع القيامة. آمن تلاميذه بالباطل، وما كان باستطاعتهم أن يعترفوا بذلك، فصرفوا سبعة أسابيع معا وهم يلقون قصة القيامة ثم أخبروا عنها وبشروا بها.

النظرية الثامنة. كلها حقيقة.
أخبروا التلامذة تماماً ما إختبروه وما رؤوه. وكما وصلت الى "البديل المذهل" عندما تعتبر الـ "يسوع الوحيد" على صفحات التاريخ، إما أنه كان معتوهاً أو كذاباً إما أن ما إدعاه هو الحقيقة الحقة. وهذا الإستنتاج الأخير يحتم علينا أن نعتبر لاهوته، لأننا هنا نواجه "البديل المذهل" أيضاً.

كل هذه النظريات السابقة تبدو وجيهة إذا إعتبرناها بنفسها. حتى النظرية الأولى القائلة بأن تلاميذ المسيح هم الذين سرقوا جسده، وهذه هي النظرية التي لفقها رؤساء اليهود أنفسهم. ولكن هذه النظرية، إن قبلناها، تجبرنا على أن نتهم التلاميذ بالكذب، وهذا يقودنا لإعتبار "البديل المذهل".

أكرهه – لقد كرهت دوماً وأنا أدرس لأنال شهادة جامعية في علم التاريخ - كرهت المؤرخين الذين يعتبرون أنفسهم موضوعيين: يقولون عن أنفسهم: "أنا مؤرخ موضوعي؛ لأنحاز الى رأي ما. ليس هناك أي أنسان مثقف بلا رأي ذاتي. العلم يجبرنا أن يكون لنا رأي، وعندما تدرس الحقائق السابقة المنسبة ليسوع لن نجد إلا رأيين: أما أن تلاميذه كذبوا، أو أنهم أخبروا الحقيقة الجلية عما حصل. لننظر في كل من هاتين النظريتين ثم نستنتج أية منهما هي الحقة:

1.# سرقوا الجثة (النظرية الأولى) ثم كذبوا (النظرية السابعة).

2.# رؤساء اليهود سرقوا الجثة (النظرية الثانية)؟ هاتان الحقيقتان تنفيان الحقيقة السادسة، أي أن رؤساء اليهود كانوا الأكثر إهتماما بدحض التبشير عن القيامة – فلما يفرغون القبر؟ وإن هم حقا أفرغوا القبر فكانوا قد أعلنوا للجميع أنهم هم الذين أفرغوا القبر. ولكن عوضا من ان يقولوا ذلك إتهموا تلاميذه بأنهم هم الذين سرقوا الجثة (النظرية الأولى). ولكن حتى ولو كان هذا الإتهام ممكنا او صحيحا، لنذكر أن التلاميذ لم يبشروا بالقبر الفارغ والقيامة فقط، بل بشروا أيضا بيسوع حيّ منظور؛ بشروا بيسوع تناول الطعام معهم؛ بشروا بصعوده إلى السماء؛ وبشروا بكل هذا بذات الغيرة والحماس التين بشروا بهما عن القبر الفارغ وعن قيامته جسديا. إذا حتى لو حق أن رؤساء اليهود هم الذين سرقوا جسده، مازال تلاميذه يبشرون بلقائهم يسوع الذي قام من الأموات والذي صعد إلى السماء. إن حقّ هذا الإتهام يشير إلى أنّ التلاميذ تابعوا بالكذب وبتلفيق القصص عنه.

3.# قادة الرومان أخذوا الجسد (النظرية الثالثة)؟ تكاثر النزاع في القدس في ذلك الوقت. كان لرؤساء اليهود إتصالات قوية مع الرومان حتى أنهم إستطاعوا أن يحققوا الصلب. فإن صح ذلك، ألا تظنّ أن رؤساء اليهود قد يكشفون عن هذه النظرية، أي أن المسؤولين الرومانيين أخذوا الجسد، لو كانت صحيحة؟ وحتى لو صدقت أي من النظريات السابقة والتي تحاول تفسير ذلك القبر الفارغ حتى وإن صحت. فلن تخفف من مسؤولية التلاميذ وهم يبشرون بقيامة يسوع جسديا وبلقائهم به وبصعوده إلى السماء. إذا ما زالوا يكذبون.

4.# النساء ذهبن إلى قبر مغلوط (النظرية الرابعة)؟ كان القبر معروفا وكان من السهل الوصول إليه (الحقيقة الرابعة). أن مصلحة رؤساء اليهود (الحقيقة السادسة) كانت قد أخذتهم إلى القبر المعروف وكلّ ما كان عليهم أن يفعلوه ليثبتوا نظرية القبر المغلوط به هو أن يذهبوا إلى القبر الذي كان الجسد فيه ولا غير.

5.# الهديان (النظرية الخامسة)؟ ألقوا القبر الفارغ يبطل هذه النظرية إطلاقا. لو كانت القيامة "هديانا" لكان الجسد ما زال داخل القبر. فإن قبلنا نظرية الهديان علينا أن نقرنها بنظرية سرقة الجسد، وفي هذه الحالة ما زال تلاميذ يسوع يكذبون.

6.# الإنعاش (النظرية السادسة)؟ إن الشكل المخيف الغريب المنظر لا يتفق مع اليسوع الصالح الذي بشر به التلاميذ. من الممكن أن نفسّر القبر الخالي بهذه النظرية ولكنها لا تنطبق مع صفات يسوع الذي بشر التلاميذ به وبقيامته ولا تعالج واقع القيامة. إذا ما زال التلاميذ يكذبون.

إذا كيفما تطرّفنا لموضوع القيامة، وإذا قبلنا الإفتراضات الثمانية السابقة الذكر (الحقيقة الأولى – الحقيقة الثامنة) نجد أنّه من الأسهل أن نثبت صحت الإفتراضات من أن نثبت صحة القيامة، وهكذا لن يكون هناك امامنا إلا إختيارين، إلا إستنتاجين فقط، لأن صحة كل الإفتراضات تعتمد على صدق شهود العيان – أي على صدق تلاميذ المسيح. لذلك أنا لا أعتبر الذين ينكرون صحة القيامة والذين لم يقرأون الكتاب الكلاسيكي لشرلوك (Sherlock) محاكمة شهود العيان. الكتاب الذي إفترض محاكمة كل من شهود القيامة في محكمة إنجليزية. أو أنهم لم يقرأوا كتاب من درج الحجر؟ لمحام صمّم أن يدحض القيامة وإنتهى إلى كتابة البراهين المقنعة التي تدعم واقع القيامة.

والآن نواجه "البديل المذهل" مرة أخرى: إمّا الحقيقة الكامنة في الإختيار الأول وهو النظرية السابعة: "التلاميذ لفقوا قصة القيامة"، أو أنّها كامنة في الإختيار الثاني، وهو النظرية الثامنة: "كانوا يبشرون بالذي إختبروه حقا وهم صادقون."

والآن إن كنت تواجه صعوبة بالتمييز بين "الحقائق" وبين "الإختيارات" وبين "النظريات" دعوني أوضح لكم ذلك: هناك ثمانية حقائق التي تختزل ثمانية نظريات فتحصرهم في نظريتين فقط أي في "البديل المذهل". هتانالنظريتان هما النظرية السابعة: اي "كذبوا"؛ و النظرية الثامنة: اي "صدقوا". وهاتان النظريتان أصبحتا النظريتين الوحيدتين المعقولتين.

و جوابنا على هذا السؤال يرتكز الإيمان المسيحي بكامله: هل كان هؤلاء التلاميذ الشهود العيان صادقين بما شهدوا له أم جماعة تأمرت فلقت القصة لينجوا أنفسهم من الكسف؟ هناك أربعة أدلة تشير الى كونهم صادقين:

السبب الأول: حصل في الشهود تغييرا هائلا للأفضل.
الكل يعلم أنّ بطرس كان متقلبا حتى في الوقت الذي كان فيه مع جماعته لم يُعوّل عليه. هرب من الخوف ونكر سيده. سبّب له تقلبه مشاكل كثيرة. بعد حدث القيامة كان هو الرجل الذي بشر بالقيامة أمام جماعة غفيرة من المستهزئين، وبعد القيامة أصبح هو صخرة يُعوّل عليها. مات شجاعا بعد ما أن طلب أن يصلب رأسا على عقب لأنه لم يعتبر نفسه جديرا بأن يصلب كما صُلب سيده. نعم هذا هو تغيير هائل حصل في ذات الوقت الذي بدأ فيه التلاميذ يبشرون بالقيامة.

ويوحنا؟ كان يوحنا محور ذاته. إنه أحد الأخوين المسَمَّيين بـ "أبناء الرعد". أراد أن يأمر بأن تنزل النار من السماء على الذين رفضوا يسوع. هو وأخاه طلبا من خلال أمهما أن يجلسا في أحسن منصب في ملكوت يسوع. ولكن بعدما بدأ يوحنا بالتبشير بالقيامة أكد لنا كل العلماء أن يوحنا أصبح رجلا مختلفا كلياً. بدلا من أن يكون "ابن الرعد" أصبح يتكلم عن المحبة بكل تواضع. إنّه الآن معروفاً بـ "رسول المحبة" – تغيير هائل وكامل.

أم توما فهو موصوف بالشكّ والريب. إنه واقعي، يشكّ في كل شيء. ولكن عندما أخبر يسوع تلاميذه بأنه سيذهب من خلال السامرة وأنه سيواجه الموت، قال توما "لنذهب نحن أيضاً حتى نموت معه". هذه هي الشجاعة، ولكنه ظن أن يسوع سيموت حقاً، وهذه نظرة عالمية لانظرة مؤمن.

عندما كان يسوع يتكلم عن ذهابه، وعن بناء المنازل في السماء، قال لتلاميذه "أنتم تعرفون أين أنا ذاهب وتعرفون الطريق." لاشكّ في أنّ تلاميذه الآخرين كانوا يهتفون ويتكلمون عن تلك عن المنازل. أما توما فكان يصغي لكل كلمة ثم يقول ليسوع، "نحن لا نعرف أين أنت ذاهب، فكيف نعرف الطريق؟" هذه هي صورة متناغمة مع شخصية توما الشكوكة.

ومن هو الذي ملأته الشكوك عندما حدثت القيامة؟ ذات الشخص، توما. قال: "لن أؤمن حتى ألمسه، حتى أضع يدي في معالم الموت." وتأتي الساعة فيخاطبه يسوع قائلاً: "أنظر يدي وجنبي." ثم يتابع فيقول له، "مبارك من آمن ولم يرى." هذه حقيقة بديهية، ولكن يسوع لم يدن توما. ذكر الحقيقة، ثم دعى توما ليرى آثار الجروح لنفسه. وهذا ما فعله اليوم. قال له يسوع: "أنظر يدي وجنبي"، وصرخ توما "ربي و إلهي."

من الجدير ذكره أن توما هو الذي دخل منطقة جبال الهمالاي (Himalayas)، وهي أكثر مناطق العالم تعمقا في علم الفلسفة، وهي المنطقة التي ولدت فيها فلسفة "هدف العلم الأقصى"، وهي الفلسفة التي انتجت البوذية وغيرها من الأديان الشرقية، دخل توما هذه المنطقة ليعلن فيها الإيمان بالقيامة وإستشهاد فيها. نجد تلك المنطقة قرب مدراس في بلاد الهند. إستشهد ولا أثر للشك فيه. نعم، إنّ هذا تغيير هائل وكامل. تغيير توما من رجل شكوك إلى رجل إيمان لا يتزحزح نتيجة للقيامة.

من إمكاننا القول أن الأزمان قد تُغيّر طبيعة الإنسان، ولكن الكذب نادرا أن يغيّر الناس لما فيه الأحسن. تغيّر التلاميذ تغييرا هائلا لما فيه الأحسن. ما أظن أن التبشير بكذبة قد يفعل ذلك.

السبب الثاني. أدلة غير مباشرة تطابق داخلي.

هناك أدلة غير مباشرة تشير إلى الحقيقة. مرقس كتب للأمميين. ذكر في إنجيل مرقس مرّات عديدة أكثر مما ذكر بأي إنجيل آخر عن المسيح وهو يشير إلى نفسه بعبارة "ابن الإنسان". تستطيع أن تعد ذلك بنفسك.

أما إذا كان مرقس كاذب وكان يعلم أنّه يكذب وأنّه يحاول أن يخدع الناس فلم يدعي ان يسوع المسيح يشير إلى نفسه بعبارة "ابن الإنسان"، عبارة تقترح أن المسيح هو إنسان، وهدفه هو أن يوضح للأمميين أن يسوع بالحق ابن الله؟ لو كان كاذبا لكان كتب عن يسوع يشير إلى نفسه بعبارة "ابن الله". حقيقة صغيرة من حقائق الله التي تشير إلى صدق إنجيل مرقس. الأنجيل الذي كتب للأمميين، وهدفه أن يبرهن أنّ يسوع هو ابن الله وهو يتكلم عن يسوع وهو يشير إلى نفسه بعبارة "ابن الإنسان" أكثر من أي إنجيل آخر.

نعم، أشار يسوع إلى نفسه بعبارة "ابن الإنسان" لأن يسوع كان يبشّر جماعة من اليهود الذين قرؤوا سفر أخوخ وسفر دانيال حيث عبارة "ابن الإنسان" ترمز إلى المسيح المنتظر المقبل على سحاب المجد ليقيم مملكته. إذا من الملائم أن يشير يسوع إلى نفسه بعبارة "ابن الإنسان" في نطاق مفهوم المسيح المنتظر. ولكن إن كنت تكتب للأمميين الذين لا يعرفون العهد القديم، وإن كنت تريد أن تخدع الناس ليؤمنوا أنّ يسوع هو ابن الله فلن تدع يسوع يشير إلى نفسه بعبارة "ابن الإنسان" مرار عديدة إلا إذا كنت صادقا و أميناً. لما لا تغيّر أقوالك لتلائم مع هدفك؟ هذه هي الإستقامة الفطرية المتأصلة. باستطاعتي أن أعطيك أمثلة مماثلة عديدة، ولكن هذا الامثال هي ما يدعو المؤرخين "أدلة غير مباشرة للإستقامة".

دعني أذكر مثلا آخر. في عالم العهد الجديد لم تكن شهادة النساء مقبولة. التلاميذ كانوا يعلمون ذلك. إذا لماذا ذكروا أنّ النساء هم أول شهود للقيامة؟ كانوا يعلمون أن في عالمهم شهادة النساء غير مقبولة، ولو أرادوا أن يكذبوا لما كانوا يدعون شهادة النساء. هذه تدل بديهيا أنهم دونوا ما حصل بالفعل.

إنّ الذين يتهمون تلاميذ المسيح بالكذب يقولون أن التلاميذ تباطؤوا سبعة أسابيع (قبل أن باشروا في التبشير عن القيامة) ليتاح لهم أن يلقفوا القصة. في نظري إن كان بقدرتهم أن يلقفوا قصة كهذه، كان باستطاعتهم أن يلقفوها بأقل من سبعة أسابيع، إنّما إنتظروا سبعة أسابيع لأن يسوع أمرهم بأن ينتظروا. هذا فعل رجال صادقين بالرغم من أنّ الإنتظار قد يؤدي قصّتهم إن كانوا هم كاذبين.

السبب الثالث. الثمن المدفوع.

لن تدفع الثمن الذي دفعوه هؤلاء الرجال من أجل كذبة. كلهم ما عدا يوحنا إستشهدوا. برثلماوس جلد حتى الموت في أرمينيا (Armenia)؛ توما طعن بسيف كاهن برهمي (Brahmin)؛ وصلب بطرس رأسا على عقب، كما وصلب القديس أندراوس على صليب يحمل إسمه حتى يومنا الحاضر؛ أما لوقا شنقه كهنة وثنيون. ومرقس جرّوه حتى الموت في سوارع الإسكندرية. أدفع هؤلاء الرجال الثمن الأقصى من أجل "كذبتهم؟"

السبب الرابع. ماتوا منفردين.

قال القديس توماس أكويناس (St. Thomas Aquinas) أن أعظم برهان يدل على صدق التلاميذ وعلى واقع القيامة هو موت التلاميذ منفردين. الآن، وكما أفعل كل سنة عندما أصل نهاية هذه الرسالة، باستطاعتي أن أتخيل جماعة

من الرجال وهم يحاولون أن يبرروا أنفسهم، يقصّون قصّة بعد أن تبعوا ذاك الرجل الذي فشل (حسب ظن التلاميذ) وهم الآن يحاولون أن يقيموه من الموت بكذبة.

أستطيع أن أتخيّلهم متحدين مع بعض في كذبتهم والضغوط تتراكم عليهم لأن لا أحد منهم يريد أن يكون أوّل من يفضح الكذبة فتنهار القضية كلها.

لنفترض أن بوبي بويل (Bobby Boyle) ودجري ماكنتاير (Jerry McIntyre) وريشار وليمز (Richard Williams) لفقوا هذه القصة. ليس هناك التلفزيون ولا الأقمار الاصطناعية ولا الفاكس ولا التلفون وطالما بقيتم معا متحدين تحت ضغوط قويّة، لا تريد أنت، دجري، أن تخذل ريشار و بوبي.

أما الآن فسافصلكم عن بعضكم. أنت يا دجري، كن برتلماوس في أرمينيا؛ وأنت يا بوبي كن توما في بلاد الهند؛ وأنت يا ريشار كن بطرس في روما. لستم على إتصال مع بعضكم. لا تستطيع أنت أن ترفع التلفون لتكلم احدا منهما ولا أحد منهما يعلم أين أنت. وبم أنك تعلم أنك تكذب ولا تنتظر من الأجيال التابعة أن يؤمنون بالقصة المفتعلة، وأنت يا دجري في أرمينيا تُجلد حتى الموت - فعلا - تُضرب بالسوط فتتقشر جلدتك عن جسديك، وكل ما عليك أن تفعله لتنجّي نفسك من هذا العذاب والموت المحتم هو أن تقول، "قصّة القيامة كذب" و"سامحوني؛ إنني ذاهب بعيدا من هذه البلدة."

لن يعرف بوبي بما فعلته؛ ولن يعرف ريشار بما فعلته. ربّما قد تلتقيان وتتبادلان القصص. قد تقول لهما أنك أحسنت الفعل في أرمينيا، وقد تقول لهما، "قصصت القصة ولن ينسوها أبدا." لن يعرف بوبي ولن يعرف ريشار أنك تكذب عليهما.

وأما أنت يا بوبي ستطعن بالسيف في بلاد الهند؛ لن ترى ثانية لا دجري ولا ريشار. كل ما عليك أن تفعله لتتجو من الموت المحتم هو أن تعترف بأن قصّة اقيامة مفتعلة فنقول: "كذبة، ما هي إلا كذبة."

وأما أنت يا ريشار فأنت في روما. أنت مكشوف أكثر من الآخرين. ولكن حياتك مهدّدة وكل ما عليك أن تقوله لتتجو من الموت المحتم هو: "أنا أسف. ربما ما هذه القصة إلا حلما" فيطلق سراحك وتذهب لفرنسا حيث لا احد يعرفك.

وكما قال القديس توماس أكويناس (St. Thomas Aquinas) أنه لا يعقل أن هؤلاء الرجال البعدين عن بعضهم، وكل منهم يواجه الموت المحتم ويدفع ثمن شهادته بحياته ويموت منفردا، كل هذا من أجل قصّة كاذبة. لا يعقل أن لا يفشي الكذبة ولا واحدا منهم.

ليمت الإنسان منفردا ولا يوجد هناك أي دليل على وجه هذه المعمورة، مهما صغر الدليل، وذلك بعد 2000 سنة من بحث وتدقيق المنتقدين، لا، ولا دليلا واحدا على أنّ أحد من هؤلاء الرجال تراجع أمام الموت ونكر صحة القيامة. لذلك أستنتج أنهم صادقون.

وهكذا عالجة هذا الموضوع مع أستاذي لاري توماس (Larry Thomas) في ستانفورد (Stanford)، فقال لي، "دجين أنا مقتنع. هؤلاء الرجال كانوا مقتنعين بصحّة أقوالهم. لذلك لا بد من أن تكون إحدى الحقائق الثمانية مغلوبة." إذا قلت هذا وأنت مقتنع في ذاتك من صحة هذا القول فسهل عليك أن تقتنع بواقع القيامة لأنه من السهل أن أبرهن لك صحة الحقائق الثمانية. إذا ما هو البديل؟ ما هو الإستنتاج المحتم علينا؟ واقع القيامة ...

هو لحقيقة صادقة ويسوع المسيح خرج من ذاك القبر.

أن صحَّ هذا القول فما هي النتيجة؟ يكون كل ما سبق صحيحا ويكون لي منطلق للإيمان بلاه أبدي أزلي، ويكون بإستطاعتي أن أعبر إلى فهم المسيحية. فإن كان بإمكانني أن أؤمن أن يسوع المسيح خرج من أكفانه، من تلك الصخرة، من ذلك الباب وصعد إلى السماء لن يعصى عليه تفكيك الجزئيات، ويستطيع أن يفعل كل ذلك دون أي إنفجار. حقا كل الأشياء مكوّنة فيه وهو المسيطر عليها.

إذا ليس من الصعب أن نؤمن أنّ جوهر الله وضع في مريم بواسطة الروح القدس وخرج منها بشخص يسوع الناصري. والله يقول لنا أنه يضع ذات الجوهر فينا عندما نضع ثقتنا بيسوع المسيح. هذه هي الولادة الثانية الحقيقية – مولدٌ للحياة، بعثٌ جديدٌ، خليفةٌ جديدةٌ تخترق أحشائي، وضعت في كهبة مجانية من عند الله في تلك اللحظة التي أؤمن بها بكلمته المقدسة.

هذا هو صُلب المسيحية الحقيقي أن المسيح فينا وهو أمل المجد. لاحاجة لأكون صوفيا أم مخبولا لأفهم ما هي المسيحية. أستطيع الآن أن أتبع كلماته وأخضع لسلطة العهد القديم الذي يتكلم عنها وان أقبل الوعود المضمونة فيه. وكلما تمسكت بهذه الوعود وعشت حياة الإيمان بكل ثقة، هذا الإيمان يُديم فيّ جوهر حياة وهي ذات جوهر الحياة الذي أقام المسيح من بين الأموات وهو جوهر الحياة الجديدة القادرة على تغيير طبيعتي الإنسانية كما تستطيع الإشعاعات، وهي خفية غير مرئية، أن تغيّر تركيب خلايا جسدي.

يضع فينا الله حياة قابلة للتجديد، ولذلك تعبّر الحياة الروحية عن الروح القدس، ولذلك يُدعى البرّ بثمر الروح. إنها الحياة الجديدة التي تنمو فينا ومن خلالنا والتي تصان بالإيمان بكلمته فقط، وهي الحياة المبنية على صخر "قام هو من بين الأموات" وهي حقيقة قابلة للبرهان. وهذا الواقع يدعني ان أؤمن أنه سيحقق الأشياء الأخرى التي تكلم عنها، الا وهي أنه سيرجع ثانية.

Pastor Scott
P.O. Box 1
Los Angeles, CA 90053
1-800-338-3030
www.drgenescott.com

ترجمه من الإنكليزية
الدكتور كمال عبدالكريم
شباط سنة 2008